في مستهل الشتاء

زهرة تتغنى

للأديب أحمد فتحي مرسي

الرَّوْضُ مَعْقُودُ اللِّوَا هَاجِدُ ... قَدْ صَوَّحَ النَّاضِرُ مِنْ زَهْرِهْ
والرِّيحُ فِي الآفَاقِ عَصَّافَةٌ ... وَالطَّيْرُ قَدْ عَادَ إِلَى وَكْرِهْ
يَا وَيْلَتَا! مَاذَا أَصَابَ الضُّحَى ... حَتَّى غَدَا كَاللَّيْلِ فِي قُرِّهْ
لَا الرَّوْضُ مَمْطُورُ الثَّرَى زَاهِرٌ ... كَلَّا.. وَلَا الأَمْوَاهُ فِي نَهْرِهْ
وَالغُصْنُ ذَاوٍ فِي الرُّبَى ذَابِلٌ ... قَدْ صَلَبَ الرَّيَّانُ مِنْ خَضْرِهْ
يَلُوحُ كَالمَذْعُورِ فِي رَجْفِهِ ... مُنْتَفِضَ الأَطْرَافِ مِنْ ذُعْرِهْ
يَنْفُضُ فِي الرَّوْضِ وُرَيْقَاتِهِ ... وَالذَّاوِيَ اليَابِسَ مِنْ نَوْرِهْ
كَطَائِرٍ يَنْفُضُ عَنْ رِيشِهِ ... مَا خَلَّفَ الوَابِلُ مِنْ قَطْرِهْ
أُنَقِّلُ الطَّرْفَ فَمَا إِنْ أَرَى ... إِلَّا هَشِيمَ الرَّوْضِ فِي قَفْرِهْ
هٰذِي الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ عَصْفِهَا
قَدْ بِتُّ كَالثَّامِلِ فِي سُكْرِهْ
وَذَا نَسِيمُ اللَّيْلِ فِي هَبَّهِ ... يَهْصِرُ بِي مَا شَاءَ مِنْ هَصْرِهْ
قَدْ خَدَّشَ الخَدَّ بِأَنْفَاسِهِ ... وَأَطْفَأَ المُوتَجَّ مِنْ جَمْرِهْ

* * *

فِي بَسْمَةِ الصُّبْحِ وَفِي صَمْتِهِ ... وَفِي البَهِيِّ النَّضْرِ مِنْ فَجْرِهْ
وُلِدْتُ فِي الأَفْنَانِ مُخْضَلَّةً ... فَضَمَّنِي الغُصْنُ إِلَى صَدْرِهْ
رَخِيَّةُ الصَّفْحَةِ لَوْ مَسَّهَا ... ثَغْرُ امْرِئٍ ذَابَتْ عَلَى ثَغْرِهْ

أَجْرَى عَلَى خَدِّي النَّدَى قَطْرَهُ ... وَأَسْبَلَ المُنْهَلَّ مِنْ خَمْرِهْ
مَنْزِلَتِي فِي الرَّوْضِ مِنْ زَهْرِهِ ... مَنْزِلَةُ الوُسْطَى عَلَى نَحْرِهْ
تُخَايِلُ الأَفْنَانُ بِي فِي الرُّبَى ... وَيَنْثَنِي غُصْنِيَ مِنْ فَخْرِهْ
حَتَّى إِذَا أَرْخَى الدُّجَى سُجْفَهُ ... وَلَفَّ هَذَا الكَوْنَ فِي سِتْرِهْ
فَجِسْمِيَ النَّاوِي عَلَى غُصْنِهِ ... لَا تَأْتَلِي الأَنْسَامُ فِي نَثْرِهْ
وَشِيكَةُ المَوْتِ وَلَمْ أَتَّهِلْ ... مِنْ رَوْعَةِ الكَوْنِ وَمِنْ سِحْرِهْ
مَاذَا عَلَى الأَقْدَارِ لَوْ صَابَرَتْ ... قَدْ يَجْتَنِي الصَّابِرُ مِنْ صَبْرِهْ
كَأَنَّنِي حُلْمٌ لَطِيفُ الرُّؤَى ... قَدْ طَافَ بِالوَسْنَانِ فِي فِكْرِهْ
حَتَّى إِذَا وَلَّتْ سِنَاتُ الكَرَى ... لَمْ يَبْقَ فِي القَلْبِ سِوَى ذِكْرِهْ

أَيْنَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ فِي حُسْنِهِ ... أَيْنَ الشَّذَا الفَوَّاحُ مِنْ عِطْرِهْ
أَيْنَ السَّنَا اللَّمَّاحُ مِنْ نُورِهِ ... أَيْنَ الفَمُ الوَضَّاحُ مِنْ بِشْرِهْ
كَمْ عِنْدَهُ مِنْ رَائِعٍ خَالِدٍ ... يَعْيَا اللِّسَانُ الطَّلْقُ فِي حَصْرِهْ
قَدْ مَرَّ بِالرَّوْضِ قَرِيبَ المَدَى ... كَخُطْوَةِ العَجْلَانِ فِي مَرِّهْ
وَشَيَّعَ المُبْتَلَّ مِنْ غُصْنِهِ ... وَوَدَّعَ المُخْضَلَّ مِنْ زَهْرِهْ
وَآذَنَ الدَّهْرَ بِهِجْرَانِهِ ... فَرَوَّعَ الأَفْنَانَ مِنْ هَجْرِهْ
وَالدَّهْرُ أَطْوَارٌ تَقَضَّى بِنَا ... مَا مَرَّ لَا يَرْجِعُ مِنْ طَوْرِهْ
وَذَلِكَ العَيْشُ بِهِ مِعْبَرٌ ... تَفَاوَتُ الأَعْمَارُ فِي عَبْرِهْ
الصَّفْوُ وَالكَدْرُ سَوَاءٌ بِهِ ... وَعُسْرُهُ أَهْوَنُ مِنْ يُسْرِهْ
وَشَرُّهُ مَاضٍ إِلَى خَيْرِهِ ... وَخَيْرُهُ غَادٍ عَلَى شَرِّهْ

كَمْ فِي حَيَاتِي عِظَةً لِلوَرَى ... لَوْ نَبَّهَ الغِرُّ إِلَى أَمْرِهْ
كُفِّنْتُ فِي مَهْدِي ولَمَّا أَزَلْ ... ذَكِيَّةَ الأَذْيَالِ مِنْ طُهْرِهْ
فَلَحْظَةُ عُمْرِي . وَكَمْ يَشْتَكِي الـ
ـإِنْسَانُ قُرْبَ المَوْتِ فِي عُمْرِهْ
شَكِيَّةُ الإِنْسَانِ مَا تَنْتَهِي ... وَإِنْ يَعِشْ دَهْراً عَلَى دَهْرِهْ

مَا أَغْدَرَ المَوْتَ بِأَعْمَارِنَا ... وَأَغْفَلَ الإِنْسَانَ عَنْ غَدْرِهْ
وَأَلْعَبَ الجَدَّ بِآمَالِنَا ... وَأَقْرَبَ المَوْلُودَ مِنْ قَبْرِهْ

« القاهرة » « نعمى »

من كلِّ هيفاء القوا ... مِ وكلِّ عشّاقِ القوام
لهفي عليكَ وللسُّيو ... لِ على جوانبكَ النظامْ
كالفلكِ في لُجَجِ البحا ... رِ السُّودِ أعياها الخصام
لا الموجُ يَرْحَمُها ولا الإ ... عْصارُ يُسْلِمُها الزِّمام
فتقطَّعَتْ عُقَدُ الشِّرا ... عِ وشقَّ جُؤجُؤَها الصِّدام
وتناثرت أشلاؤها ... حيناً ... وغيَّبها الظَّلامْ!

(دمشق) أحمد الطرابلسي